من قصص التراث

الأميرةُ والعجوزُ

وقصص أخرى



٢

سفير

قصص التراث

الأَمِيرَةُ وَالْعَجُوز

وَقصص أخرى

إعداد وتحرير

سمير حلبى — عبد الحميد توفيق

سلامة محمد سلامة — أشرف فوزى

رسوم

إسماعيل دياب

٥ ش جزيرة العرب – المهندسين – القاهرة . ص.ب : (٤٢٥) الدقي

مِسْمارُ جُحا

يُحكى أنَّ جُحَا الْمعروف بظرفه وذكائه، كانَ لهُ بيتٌ صغيرٌ يعيشُ فيه معَ زوجتهِ وأبنائه، فمرَّتْ به ضائقةٌ شديدة، ولمْ يجدْ ما يُطعمُ به أبناءه. فأخذَ يمرُّ على أصدقائه واحدًا بعدَ الآخر؛ لعلَّ أحدهُمْ يقرضهُ بعضَ المال فيعينهُ على ضائقته، فلم يوفق في ذلك، فاضطرَّ جحا إلى رهنِ بيتهِ عندَ أحدِ التجارِ مقابلَ مبلغ منَ المالِ يسدده لهُ بعد حين، وظلَّ جُحا على حالهِ زمنًا لمْ يستطعْ فيهِ سدَّ دَيْنِه للتاجر.

ذهبَ التاجرُ إلى جُحا، وقالَ له :

يا جُحا لقدْ مَضَتْ فترةٌ كبيرة، ولمْ تَسدَّ ما عليكَ منْ دين. فردَّ جُحا قائلا: اصبْر يا أخي فإنَّ عيالي كثيرونَ، وأُمهمْ لا تَكفُّ عنْ طلبِ المزيد من الأشياءِ.

فقالَ التاجر :

ولكنْ إلى متى ستظلُّ لا تستطيعُ سدَادَ دينك؟ فردَّ جُحا قائلا : في القريبِ العاجلِ إنْ شاءَ اللهُ سوفَ أُحضرُ لكَ نقودك.

ومضت فترةٌ أُخرى ولمْ يَرُدَّ جُحا إلى التاجرِ ماله، فذهب إلى القاضي وشكاهُ عنده، فاستدعَى القاضي جُحا وخيَّرهُ بينَ سدادِ الدينِ أو بيعِ البيت، فقالَ جُحا :

يا سيدي القاضي .. إنَّ أفواهَ أبنائي مفتوحة دائمًا، وهم يلتهمون كلَّ ما آتي به، وليسَ لدَيَّ ما أُسددُ بهِ هذا الدين. فحكمَ القاضي ببيع بيتِ جحا للتاجر، فنهض جحا وقالَ :

أوافقُ على ذلكَ بشرط أنْ أحتفظَ بملكيتي لمسمارٍ مثبت في إحدى الغرف، ولا ينازعني هذا الرجل ملكيته، فوافقَ التاجر على مَضضٍ؛ حتى يضمن حقه، وأقر القاضي البيعَ والشراء، وبعدَ عدة أيام طرقَ جحا بابَ البيتِ ففتح له التاجر، وسألهُ عما يريده، فأجابَ جحا قائلا : جئتُ لأزور مسماري وأطمئنَّ عليه، فأدخلهُ التاجرُ ليطمئنَّ على مسماره، فرأى





جحـا ثوب التاجر معلقًـا فوق المسْمار، فطلبَ منه أنْ يرفَعَ ثوبهُ منْ عـلى مسماره، ولا يفعل ذلكَ بعـد اليوم، وتعددت زياراتُ جُحـا لمسْماره، وفى كلٍّ مرةٍ كان يـقفُ أمامه باكيًـا، ويظل يتحدثُ إليـه فى حبٍ ومودةٍ لساعـاتٍ طويلة، وفى إحدَى الزياراتِ دخلَ جـحا فوجد طعامًا قدْ أُعِدَّ، فظلَّ يحدث مسـماره ويبكى تارةً، ثم ينظرُ إلى الطعامِ تارةً أُخرى، فدعاهُ التاجرُ إلى طعامه ؛ فأسرعَ جحا والتهمَ كلَّ الطعام، ثمَّ قام إلى مسمارهِ يشكره على حسنِ ضيافَته.

وكانَ جحـا يتحينُ وقتَ الطعامِ ليزورَ مسـماره، وكذلكَ كان يذهبُ إليهِ فى وقتٍ مـتأخرٍ منَ الليل، ويوقظُ التاجرَ منْ نومه. . وذاتَ يومٍ قالَ التاجرُ لجحا :

لقدْ حولتَ حياتى إلى جحيم بسببِ مسمارك؛ وحرمتَنى من الراحة بسبب زياراتك؛ ولذلكَ سأتركُ لكَ البيتَ على أن تعيْدَ إليَّ مالى متى يتوفر لك، وفى أيِّ وقتٍ تشاء.

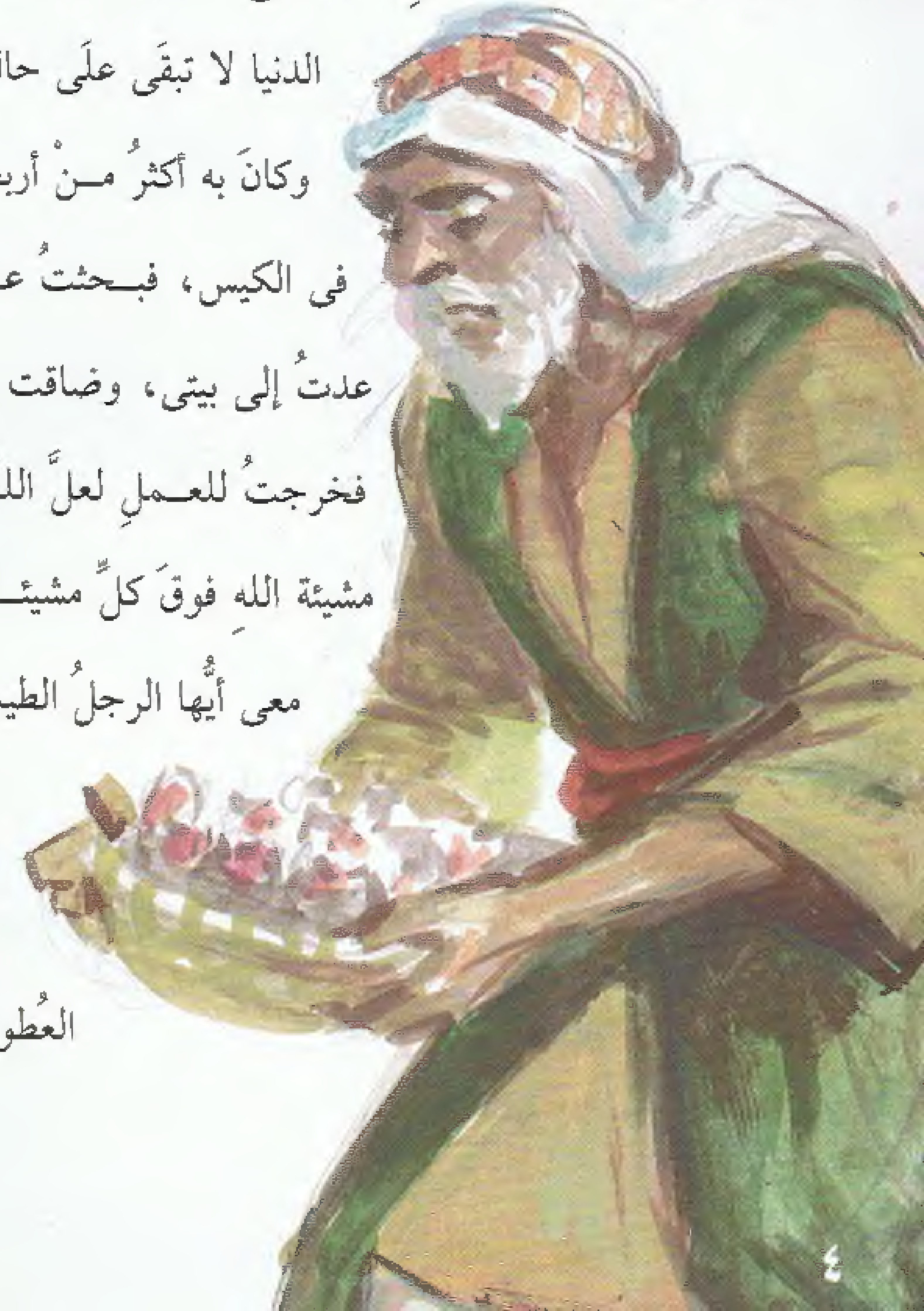
فوافق جحا على ذلك، واستعادَ داره.

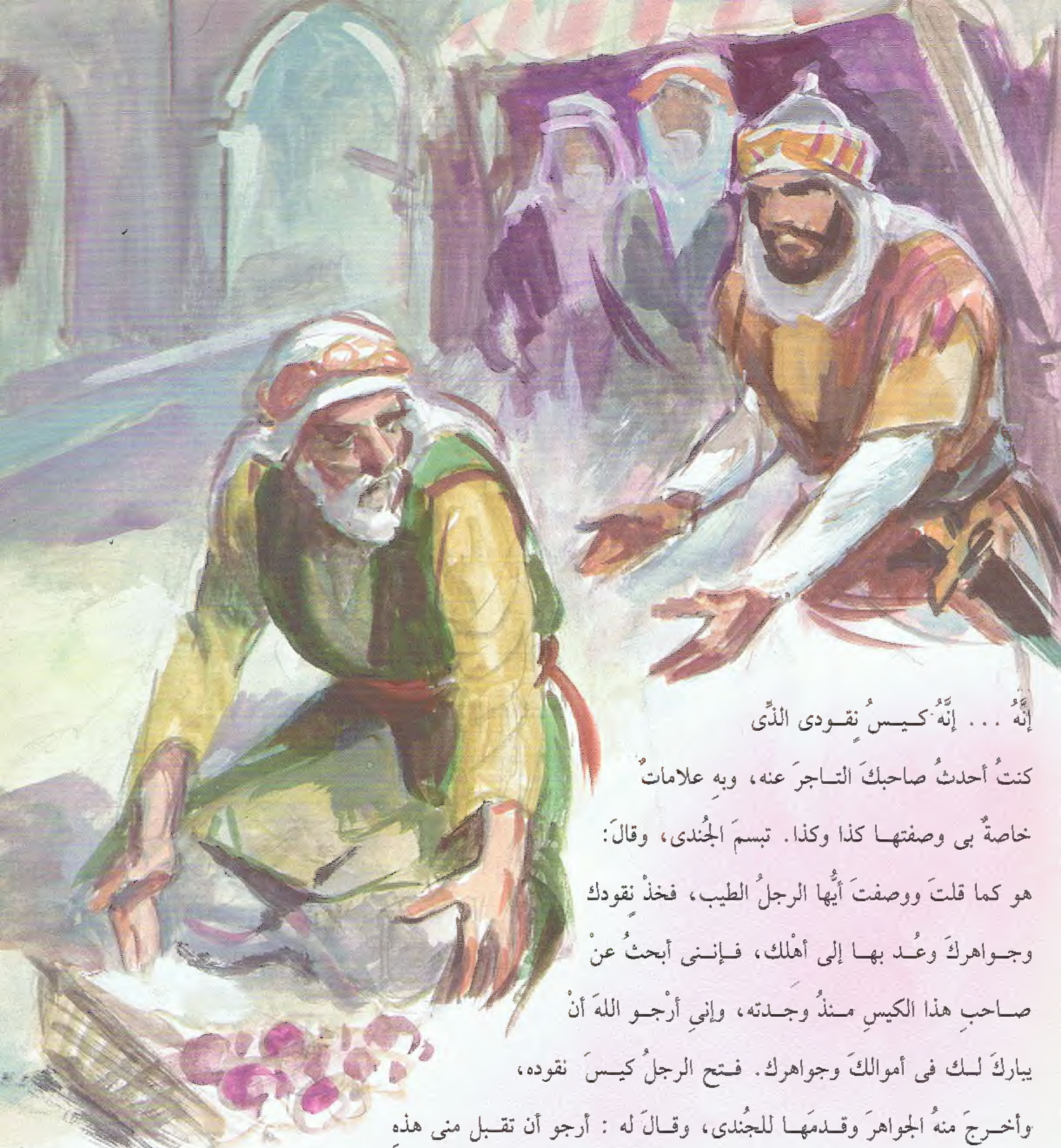
العجوز الطواف

يُحكى أنَّ أحَـد الجنودِ ذهبَ لزيارةِ صديقـهِ التاجـرِ فى دُكانه بسـوقِ بغداد، وبينمـا يتبـادل الاثنان أطرافَ الحديث، اقـتربَ منهُما رجلٌ يسـيرُ بخطواتٍ ثقيلة، ويحـمل بينَ يديهِ صندوقًا بهِ عـدة زجاجات، وألقَى عليهـما السلامَ بصوتٍ ضعيف، ثم قالَ : إنَّ معى عطوراً، فهلْ لكُما فى شىءٍ منها ؟

فاشتـرى التاجر منه زجاجـة مسك بعشرة دراهم. ولمَّا نهضَ الرجل وهمَّ بالانصـراف سقطَ منهُ الصندوق علَى الأرض، فتحطمت الزجاجـات؛ وسالَ منها العطرُ، فانكبَّ الرجلُ علَى الأرض يجمعُ منها الـعطر وهو يردد بحزن شديد : لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، فقالَ له التاجر: هَـوِّنْ عليكَ يا أخى، لعلَّ اللهَ يخلفُ عليكَ بما هو خيرٌ منهُ. ردَّ صاحبُ العطورِ : أنا لا أعترضُ يا أخى على قضاءِ الله، فإنَّ الحـال لا تدوم، ولكنَّ اللهَ رزقَنى الليلةَ بمولودٍ انتظرتهُ طويلا، فخرجتُ واشتريتُ بكلِّ ما أملكُ هذه العطور؛ حتىَ أبيعَهـا وأوفرُ لوليدى وأمهُ ما يحتاجانِ . فقالَ لهُ التاجـر : لكنَّ الكميةَ التى كانتْ معكَ قليلة، ولاتكفى لتوفير احتـياجات وليدِك. ردَّ بائعُ العُطور : يا أخى قليل حلالٌ بعفة وأمانة، خيرٌ من كـثيرٍ فيهِ شك وإهانة، وإنَّ الدنيا لا تبقَى علَى حال، فقد كنت تاجراً ثريا، سقطَ منِّى كيس نُقودى فى مكانٍ كذا، وكانَ به أكثرُ مـنْ أربعةِ آلافِ دينار، وجواهرَ ثمينةَ تُساوى أضعـافَ النُقود التى كانتْ فى الكيس، فبـحثتُ عنْ الكيسِ كثيـراً فلمْ أجده؛ فرضيتُ بقدرى وحـمدتُ الله، ثمَّ عدتُ إلى بيتى، وضاقت بى الحياة، فبعت ملابسى وأثاث بيتى، ورزقَنى اللهُ الليلةَ ولداً، فخرجتُ للعـملِ لعلَّ اللهَ يَرزقَنى بشىءٍ أوفرُ بهَ بعضُ ما تحتـاجُ زوجَتى ووليدها، ولكنَّ مشيئة اللهِ فوقَ كلِّ مشيئـة. كانَ الجندى ينصتُ باهتمام شديد ثم قالَ لبائعِ العُطور : تعالَ معى أيُّها الرجلُ الطيبُ إلى بيتى؛ لعل اللهَ يعوضُك عنْ صبرك.

ذهبَ الاثنـانِ إلى بيتِ الجُـندى، ودخلَ الجُنـدى إحـدى حُجـراتِ بيته، ثمَّ عادَ ومـعهُ شىءٌ فى يده، فوضعـهُ أمامَ بائعِ العُطور، وقالَ له :هلْ تعرفُ هذا الشىء؟ نهضَ الرجـلُ وقالَ بلهفة:





إنَّهُ . . . إنَّهُ كيسُ نقودى الذى
كنتُ أحدثُ صاحبكَ التاجرَ عنه، وبهِ علاماتٌ
خاصةٌ بى وصفتها كذا وكذا. تبسمَ الجُندى، وقالَ:
هو كما قلتَ ووصفتَ أيُّها الرجلُ الطيب، فخذْ نقودك
وجواهركَ وعُد بها إلى أهْلك، فإننى أبحثُ عنْ
صاحبِ هذا الكيسِ منذُ وجدته، وإنِى أرْجو اللهَ أنْ
يباركَ لكَ فى أموالكَ وجواهرك. فتح الرجلُ كيسَ نقوده،
وأخرجَ منهُ الجواهرَ وقدمَها للجُندى، وقالَ له : أرجو أن تقبل منى هذهِ
الجواهرُ هدية على أمانتك وبحثكَ عنْ صاحبِ الكيسِ. فقالَ الجُندى:

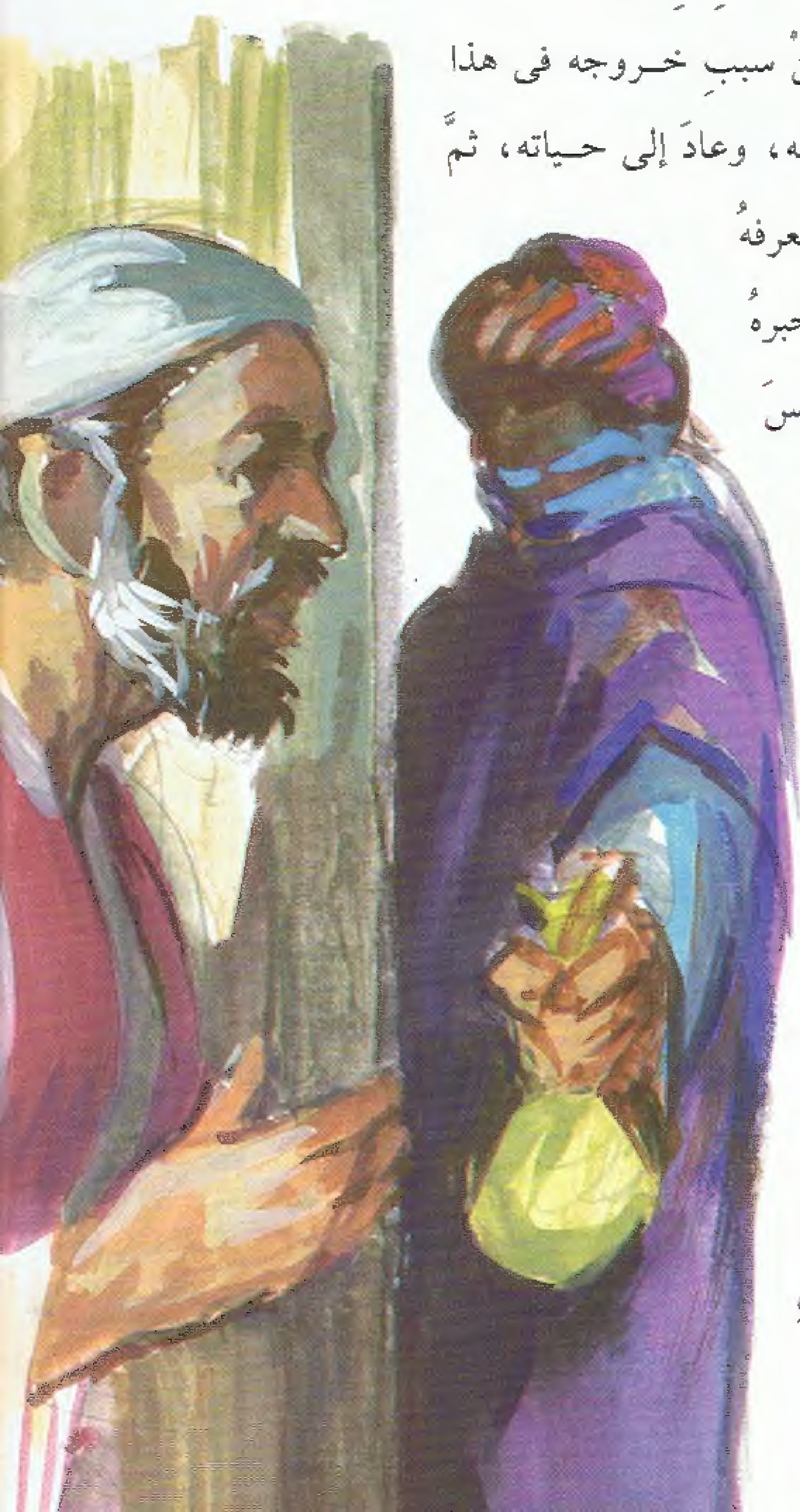
يا أخى ما كنتُ لأخذَ على أمانتى مالا، فإننى أرجو الأجر منَ الله. فشكرهُ الرجلُ، وعادَ إلى أهلهِ سعيداً مسروراً.

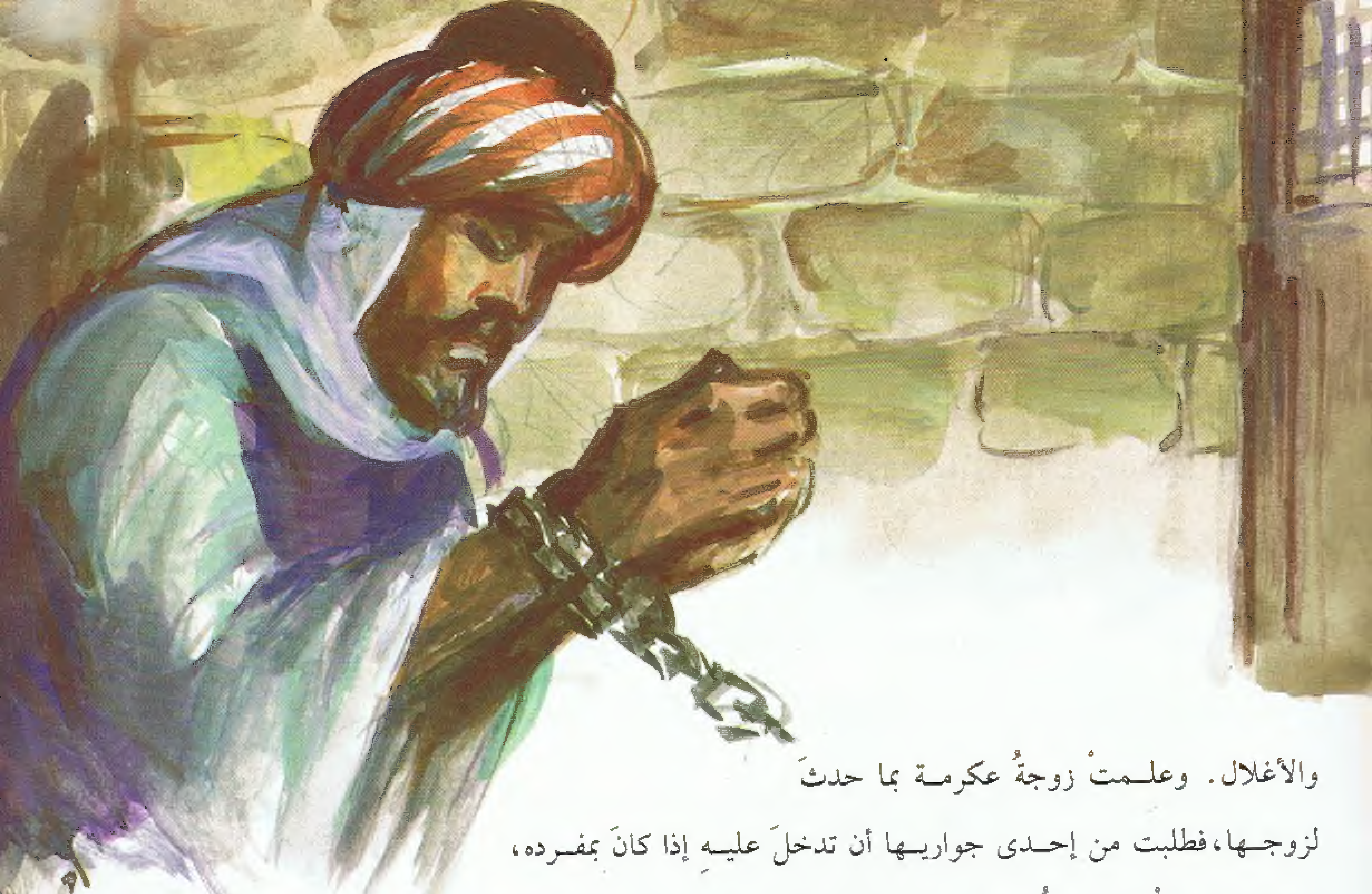
جابرُ عثراتِ الكرامِ

يُحكى أنَّ رجــلا اسمه «خــزيمةُ بْنُ بِشْــرٍ» كانَ مشــهورًا بالجــودِ والكرم، وكانَ يعين كل أصــدقائه ومعارفه فى الأزمات، وفجأة انقطعتْ أخباره، وذاتَ يومٍ كانَ «عِكْرِمَةُ بنُ الفيَّاض» والى الجزيرةِ العربيةِ فى مجلسِه. فسأل عنه جلساءه فأجابوه أن ثروتهُ نفــدت، وأنَّ أصحابهُ تنكروا له، فلزم بيتهُ لا يخرجُ منه. فانتظرَ عِكْرِمةُ حتى أتى الليلُ وخرجَ منْ دارِه وهو متــخفٍّ، ثمَّ ذهبَ إلى بيتِ خزيمةَ، فى حلكة الليل، طرقَ عليهِ بابه، فخرجَ خزيمة، فأعطاهُ كيسًا بهِ أربعة آلاف دينار، وقالَ له :

أصلح بها شأنكَ. فقالَ خُزَيْمَــةُ : من أنتَ يرحمُكَ اللّه ؟ ردَّ عِكْرِمَةُ قائلا : جابرُ عثــراتِ الكرام. ثمَّ مضى عائدًا إلى داره، فــسألتهُ زوجــتهُ عنْ سببِ خــروجه فى هذا الوقت من الليل، فأخــبرها بما حدث. وخرجَ خــزيمة منْ عزلته، وعادَ إلى حــياته، ثمَّ تجهزَ وذهبَ لزيارةِ الخليفةِ «سليمان بن عبدِ الملكِ» الذى كانَ يعرفهُ جيدًا، ودخلَ عليه، فرحبَ بهِ الخليفــة، وسألهُ عنْ حاله، فأخبرهُ بما حدثَ معــه، فقال لهُ الخليفة : وهلْ عــرفتَ منْ أعطاك كيسَ النقود؟ أجابَ «خُزيمة» قائلا: عندما سألته عن اسمهِ قال : إنهُ جابرُ عثراتِ الكرام. فقالَ الخليفــة : ليتنا نعرفهُ حتى نكافئهُ على فعلهِ وكرمه، ولسوفَ أعوضكَ يا خزيمة عنْ تلك الأيامِ الصعــبة التى عشتــها، وأجعلكَ واليًــا على الجزيرةِ بدلا منْ عِكرمة ابن الفيَّاضِ.

ولما تسلم خــزيمةُ عــملهُ الجــديد؛ استــدعى عِكْرِمَــة ابنُ الفيَّــاض، وحاســبهُ على أموال الدولةِ التــى كانت تحتَ يده، فوجــدَ فيهــا عجزًا، وطلبَ منْ عــكْرِمةَ أنْ يسددَه، فــقال له عكرمة : والله لا أملكُ ما أسددُ بهِ الآن؛ فأمهلنى فرصةً أدبر فيــها أمرى، فــرفض خزيمة وأمر بحــبســه وتقييــدهِ بالسلاسلِ





والأغلال. وعلمتْ زوجةُ عكرمة بما حدثَ لزوجها، فطلبت من إحدى جواريها أن تدخلَ عليهِ إذا كانَ بمفرده، وتقول له: هلْ هذا جزاءُ جابر عثرات الكرام ؟ ولما قالت الجارية لخزيمة ذلك نهض منتفضًا وقال وهو يكظم دموعه : واحسرتاه ! واسوءَتاه!! أأفعلُ ذلكَ بمن أكرمني وساعدني؟! واستدعَى على الفور عظماءَ البلد، وذهب بهم إلى السجنِ حيثُ يوجدُ عِكْرِمَةُ، ففكَّ قيوده، وانهالَ عليهِ يقبلهُ ويعتذرُ إليه، ثمَّ أخذهُ إلى بيته، وأعدَّ لهُ مالذَّ وطابَ من الطعام، وأعطاهُ أفخر ثيابه، ومنحهُ أموالا كثيرة، ثمَّ ذهبَ معهُ إلى بيته، فاعتذرَ إلى زوجته، ثمَّ ذهب به إلى الخليفة، فلمَّا وقفا بينَ يدى الخليفة، قالَ خُزيمة : معذرةً يا أميرَ المؤمنينَ لأننى أتيتُ إلى هنا، دونَ إذن منكُم، جئتُ لأبشركَ بأمر أراكَ تشوقتَ إليه كثيرًا. فقالَ الخليفةُ بتلهف : وما هو؟ أجابَ خُزَيْمَةُ قائلا: لقدْ عرفتُ «جابرُ عثرات الكرام». فقالَ الخليفة: حقا، إننى بالفعلِ متشوقٌ إلى معرفته، فمنْ هو؟ ردَّ خُزيمةُ قائلا : إنه عِكْرِمةُ بنُ الفيَّاضِ. فقام الخليفةُ ورحبَ بعكرمة، وقربهُ منه، وأغدقَ عليه من الهدايا، وأمر لهُ بعشرة آلافِ دينار، وقضى جميعَ حوائجه، ثمَّ ولاهُ الجزيرةَ وأذربيجانِ وأرمينية، وقالَ له : إنْ أردتَ أنْ يبقى معكَ خُزيمة فأنت وما تريد، وإنْ رفضتَ ذلكَ فلكَ حرية التصرف. فقالَ عِكْرِمةُ : بلْ أريدُه معى يا أميرَ المؤمنين. وعادَ الاثنان، وظلَّ يساعدُ بعضهُما بعضًا فى الحكمِ طيلةَ عهدِ الخليفةِ «سُليمان بن عبدِ الملك ».

الأميرةُ والعجوزُ

يُحكى أنَّ أحدَ الأمراءِ كانَ لهُ قصرٌ كبيرٌ بهِ حدائق واسعة، وحولهُ سورٌ عظيم، وكانتْ هناكَ امرأةٌ فقيرةٌ عجوز، تعيشُ فى كوخ صغير بجوار سورِ القصرِ. وذاتَ يومٍ خرجت ابنةُ الأميرِ تلعب بالكرةِ فى الحديقة، فارتفعت الكرةُ عاليًا، ثمَّ سقطتْ على رأسِ العجوزِ وهى نائمةٌ فى كوخِها، فاستيقظتْ مذعورةً متألمةً، وخرجت من كوخِها، فرأت ابنة الأمير، فصاحتْ فى وجهِها، ومزقتْ لها الكرةَ، فأسرعت ابنةُ الأميرِ إلى أبيها باكيةً، فقالَ لها : ماذا حدثَ يا بنيتى ؟ ماذا يُبكيك؟ فقالت : إنَّ العجوز التى بجوارِ القصرِ مزقت لى الكرة، وصاحتْ فى وجهى، وظلتْ تؤنبنى، ولابُد أنْ تأمرَ بهدمِ كوخها، وطردها من جوارِ قصرنا، فقدْ أهانتنى، ونسيت أنى ابنةُ الأمير. استدعى الأميرُ وزيره، وطلبَ منهُ أنْ يشترى كوخ العجوز، ثمَّ يأمرها بالرحيلِ بعيدًا عن القصر، فذهبَ الوزيرُ إلى العجوزِ وقالَ لها : إنَّ الأميرَ سوفَ يهدمُ سورَ القصر؛ ليوسعَ فى الحديقة، وإنَّ ذلك سوفَ يضرُّ بك؛ لأن كوخك ملاصقٌ للسور، لذا جئتُ أعوضكِ بالمالِ حتى تُدبرى لنفسكِ مسكنًا جديدًا. فردَّتْ العجوز قائلةً: لست تذكرُ الحقيقةَ يا وزيرَ الأمير. فإنَّ رغبةَ الأميرة المدللةِ هى التى جعلتكَ تفعلُ ذلكَ . . أتعرفُ لماذا أيُّها الوزيرُ ؟ لأننى طالبتها بحقى فى الهدوءِ والراحة. فقالَ لها الوزير : أنتِ امرأةٌ طيبةٌ وحيدة، ولنْ تقفى أمامَ رغبةِ الأمير، وسوفَ أعطيكِ خمسةَ أضعافِ ثمنِ الكوخِ وترحلينَ منْ هُنا. ردَّت العجوزُ قائلةً : سيدى الوزير . . إننى لنْ أتنازلَ عن الكوخ، ولنْ أبرحه مهما كلفنى ذلك. ومهما ضاعفتَ منْ ثمنهِ، وسوف أشكوكُم إلى القاضى إذا حاولتم مضايقتى، أو إرغامى على بيعِ الكوخ. فظنَّ الوزيرُ أنَّ القاضى إذا عُرض عليهِ الأمر، سوفَ يحكُم لصالحِ الأمير، فصمت برهةً، ثم قالَ للعجوز : إذَنْ نحتكم إلى القاضى ليفصلَ بيننا. فردَّت العجوزُ على الفور : فلنحتكمْ إلى القاضى. وذهبا إلى القاضى وعرضَ الوزيرُ الأمرَ عليه، فقالت العجوز : سيدى القاضى. . إنَّ الأمرَ ليسَ بينى وبينَ الوزير، ولكنهُ بينى وبينَ الأمير؛ ولذلك لنْ أقبلَ الحكمَ إلا بحضورِ الأميرِ خصمى فى النزاع. فأرسلَ القاضى فى استدعاءِ الأمير، فلمَّا جاء ووقف بين يَدَى القاضى قالَ له : أخبرتها على لسانِ الوزيرِ أننى

سوف أدفع خمسةَ أضعافِ ثمنِ الكوخِ، حتى تتـركهُ وترحلَ، فهلْ هناكَ عرضٌ أفضلُ منْ ذلك؟ فقالَ القاضى : إنه عرضٌ طيب، ومنْ يرفضه لا يكونُ إلا غـبيا أوْ مجنونًا. فقالت العجـوز : سيدى القاضى . . إنَّ هذا الكوخَ قضيتُ فيهِ عُمرى، وبهِ ذكرياتى، وأصبح جزءًا منى، وأصبحتُ جزءًا منه، ولنْ أتنازلَ عنه، وهذا حقى. فإن كان ذلك غباءً منى أو جنونًا، فبماذا تـسمى ما يفعله سيدى الأمير ؟ ! فقال القاضى : مـاذا تقصدينَ يا امرأة؟ فقالت العجوز : أقصدُ ماذا تقولُ فيمنْ يدفعُ خمسـةَ أضعاف ثمنِ شيءٍ لا يُساوى هذهِ القيمة ؟ فطن القاضى لمقصدِها، وكذلك الأمـير، وعلمَ الأمـيرُ أنَّ الناس سـوفَ يتهـمونه بعـدها بالغبـاءِ والجنونِ لإسرافهِ وبذخه، فتنازلَ عنْ دعواه، وقدْ أعجبَ بإصرارِ العجوزِ وحسنِ منطقِها، فتقدمَ منها وأعتذرَ إليها، وكذلكَ أمرَ ابنتهُ بالاعتذارِ إليها.



هذا أفضل من حجنا

يحكى أنَّ «عبد الله بن المباركِ»، المعروف بصلاحه وتقواه خرجَ مرةً إلى الحج، واصطحبَ معه بعضَ أصحابه. وفى الطريق توقفَ عبد اللهِ وأصحابه، للراحة بالقربِ منْ أحدِ بيوتِ القرية، التى وصلوا إليها. .

فخرجتْ فتاةٌ من هذا البيتِ وأسرعت نحو مكانٍ لوضعِ القمامة. وأخذتْ منهُ دجاجتينِ ميتتين، ثمَّ أسرعت بهما عائدةً إلى البيت، فلمَّا رآها عبد اللهِ بنُ المبارك وأصحابه. تعجبوا من فعلها، وأراد أحدهم أن يقوم ليسألَ الفتاةَ لماذا أخذتْ هاتين الدجاجتين الميتتين، وماذا ستفعلُ بهما ؟ فقالَ لهُ عبد الله : دعنى أقومُ بهذهِ المهمة نيابةً عنكَ يا أخى فسمحَ لهُ الرجل، فاتجه عبد اللهِ نحوَ بيتِ الفتاة، ثمَّ طرقَ بابَ البيت، فخرجتْ إليه الفتاة، التى رآها منذ قليلٍ فقال لها : معذرةً يا بنيتى. . فأنتِ لا تعرفيننى، ولكنى جئتُ أستفسرُ منكِ عنْ أمرٍ رأيتهُ منكِ منذُ قليلٍ؟ فقالت الفتاة: سلْ عمَّا شئتُ يا عمِّ؟ فقالَ لها عبد الله: أخبرينى بالله عليكِ ما الذى دفعكِ إلى أخذِ الميتةِ منْ موضعِ القمامة؟! فقالت الفتاة: يا عمِّ. . إننى وأخى نعيشُ فى هذا البيت، ولا نملكُ سوى هذهِ الثياب، التى تستر جسدينا، وليس لنا طعامٌ سوى ما يُلقى فى القمامة، وقدْ أُحِلَّتْ لنا الميتة، فلمْ نأكلْ منذُ أيام، وليسَ لنا أحدٌ يقومُ على رعايتنا. فقالَ عبد الله : وأينَ أبوكُما يا بنيتى؟ فردَّت الفتاةُ قائلةً : لقدْ قتل أبونا، وسُلِبَ كلُّ ماله. فقالَ لها عبد الله: انتظرينى قليلا حتى أعودَ إليكِ ثانية.



وذهب عبدُ اللهِ إلى إخوانهِ وقصَّ عليهم الأمرَ، ثمَّ قالَ لهم : كمْ معكُمْ منَ المال؟ قالوا : ألف دينار. فقالَ لهم: خذوا منها عشرينَ دينارًا تكْفينا للعودة، ثمَّ أعطوا

الفتاةَ ما تبقى، فهذا واللهِ أفضلُ منْ حجنا هذا العام. وذهبَ عبدُ اللّهِ معَ أصحابهِ، وأَعطوا الفتاةَ ما معهمْ منْ مال، لتنفقَ منها هى وأخوها، ثمَّ رجعوا إلى بلادهم.





مَرْغَازَهَان

يحكى أنَّ أحدَ علماءِ العرب فى علمِ الكيـمياءِ والأدوية كان يسهرُ حتى ساعةٍ مـتأخرةٍ يبتكرُ أنواعًا مختـلفةً منَ الأدوية، وكـانَ حريصًا علـى أنْ تبقَى تجاربهُ سـريةً كعـادةِ العلماءِ حتى لا يسـبقـهُ أحدٌ إلى معرفتِها، فلمْ يتخذْ لنفسهِ مساعدًا، وعندما تقـدمتْ بهِ السنُّ أشارت عليهِ زوجتهُ أنْ يتخذَ أحدَ تلاميذهِ مساعدًا له؛ فرفضَ حتى لا تتـسربَ أسرارُ تجاربه؛ ولكنها أقنعـتهُ أن يستخدم منْ يثقُ فـيه منْ تلاميذه وهمْ كثـير، فوافقَ على أحدهم، وبدأَ الشابُّ فى مساعدةِ العالمِ الكبيرِ، فكانَ لا يعودُ إلى بيته إلا فى ساعةٍ متأخرة. وذاتَ يومٍ أرادَ العالمُ أنْ يختبرَ أمانةَ تلميذهِ ومساعده؛ فأعطاهُ ظرفًـا كبيرًا، واختارَ يومًا شديدَ العواصف، وقالَ لهُ: يا بُنى.. داخل هذا الظرف أسرارٌ علميةٌ خطيرةٌ لمْ يتوصلْ إليها أحدٌ إلا أنا، وأريدُكَ أنْ تحملها إلى صديقى العالمِ فى منطقةِ الجنوب، ولا تجعلْ أحـدًا يفتحُ الظرف إلا هو. وانطلقَ الشـابُّ فى هذا اليومِ العـاصفِ نحوَ الجنوب، وجلسَ على صـخرةٍ يستريحُ قليلا، وأخذَ يحدثُ نفسهُ: ترى ما هى الأسرارُ العلميةُ التى بداخلِ الظرف؟ ولماذا يُخفى علىَّ أستاذى هذهِ الأسرار؟ ألستُ أنا مساعده، ومنْ حقى أنْ أعـرفَ؟! وفتح الشابُ الظرف، فطارتْ منهُ ريشةٌ ملونة، وأخذَ الشاب ينظرُ إليهـا فى دهشة، حتى اختـفتْ عنْ نظرهِ فى مكانٍ بعيدٍ فـوقَ الجبل، ونظرَ الشاب داخلَ الظرف، ودسَّ يدهُ فيه، فوجدَ بهِ قصاصةَ ورقٍ مكتوبًا عليْها:

إلى صديقى العالِم، إذا وصلتكَ رسـالتى وبها ريشةٌ ملونةٌ بأصباغٍ كيـميائيةٍ





خاصة، فأعطِ مساعدِى الثلاثين ألفَ درهم التى عندكَ، ولا تنسَ أنْ تردَّ إلىَّ ريشتى. حار الشابُّ ماذا يفعلُ وقد أخذت العواصفُ الريشةَ الملونةَ إلى مكانٍ سحيقٍ فوقَ الجبل، وأخذَ يبكى ولمْ يكُنْ أمامهُ إلا العودةُ إلى العالِمِ الذى قالَ له : كيفَ ذهبتَ بهذه السرعة يا بنى؟ قالَ الشاب : أنا لمْ أذهب يا سيدى . . لقدْ فتحتُ الظرف لأعرفَ ما بِهِ منْ أسرارٍ علمية. فقالَ لهُ العالمُ بسخريةٍ : وهلْ عرفتها الآن؟ لقدْ نويتُ أنْ أعطيكَ الثلاثينَ ألف درهم مقابلَ أمانتك، ولكنك أخفقتَ فى أول امتحانٍ. . اذهبْ فلا حاجةَ لى بِك، فمنْ خانَ هانَ.

مُكرَهٌ أخاك لا بَطل

يُحكى أنَّ أحدَ الولاةِ المعروفين بالجشع، كانَ يفرضُ ضرائبَ باهظةً على الناس، ينفقها على نفسهِ ووزرائه، ويعيشُ فى بذخٍ، حتى ضاقَ الناسُ بأفعالهِ. وفى إحدى السنين احتاجَ إلى المال؛ ولكنَّهُ خشى ثورةَ الناسِ عليهِ إذا فرضَ ضرائبَ أُخرى، فأشارَ عليهِ أحدُ وزرائهِ ، الذين اتصفوا بالدهاءِ والمكرِ بحيلة يستطيعُ بها أنْ يجمعَ الأموال، وأحضرَ كبشًا ووضعَ عليهِ سرجًا ولجامًا وركابًا وشكيمةً كما لو كانَ حصانًا، ووضعهُ فى غرفةٍ مجاورةٍ، واستدعى الوالى أثرياءَ البلدة لأمرٍ مُهم، وأقامَ لهُم وليمةً كبيرة، وقالَ لهم: يا أثرياءَ البلدة إنَّ مولانا السلطان أمرنى أن أختبر ذكاءكم فمنْ كانَ كذلكَ أكرمناه، ومنْ كانَ عكس ذلك، دفعَ لحضرةِ السلطانِ عشرةَ دنانير ذهبية. فوافقَ الأثرياء ثمَّ نادى الوالى حاجبهُ وقال له : أَحضرْ ما عندكَ يا غلام. فأدخل الكبشَ. فسألهُمُ الوالى ما هذا؟ فنظرَ بعضهم إلى بعضٍ وقالوا فى صوتٍ واحد : كبشٌ !! فقالَ الوالى : أغبياء . . ألا ترونَ السرج والركابَ واللجامَ . . يدفعُ كلٌّ منكمْ عشرة دنانيرٍ ذهبيةٍ لمولانا السلطان. وفعلَ الوالى نفسَ الشيء فى أعيانِ البلدةِ ودفعَ كلُّ واحدٍ منهُمْ عشرة دنانير ذهبية. وعندما استدعَى التجار اتفقوا أن يقولوا : إنهُ حصانٌ عكسُ ما قالهُ منْ قبلهم. فلمَّا سألهُم الوالى: ما هذا ؟ قالوا: إنه حصانٌ . . فقال لهم الوالى : أغبياء . . ألأنَّ عليهِ سرجٌ وركابٌ ولجامٌ يكونُ حصانًا؟ ألا ترونَ صوفه؟! ليدفع كلٌّ منكُم عشرة دنانير ذهبية. وفعلَ ذلكَ مع كلِّ أبناءِ بلده، حتى جاءَ دورُ الحرفيينَ، فقالَ أحدهم : عندما يسألنا الوالى سأتكلمُ أنا عنكُم. وأخفى فى ملابسهِ سكينًا. وعندَما سألهُم الوالى ما هذا؟ قالَ الحرفى : هذا يا مولانا ليس كبشًا ولا حصانًا. . هذا يسمونهُ البلاءُ . . يشربُ





دماءَنا ويأكلُ أموالَنا ويموتُ هكذا، وأخرج السكينَ ووضعَها فى قلبِ الوالى، وتخلص الناسُ منْ ظلمِ هذا الوالى، وتحدثوا عنْ شجاعةِ الحرفى.

اللَّوحةُ المُنقِذَة

يُحكى أنَّ أحدَ الأمراءِ كانَ لهُ ولدٌ اسمهُ «عمَّار»، استدعى له أحد الحكماءِ واسمهُ «عدنانُ» ؛ ليربيه ويعلمهُ أمور الدِّينِ والدنيا، وبعـدَ فترةٍ اكتشفَ الحكيمُ «عدْنانُ» أنَّ عمارًا مـوهوبٌ فى فنِّ الرسم، فأحضرَ لهُ الأدوات التى تساعدهُ على إتقانِ هذا الفنِّ الجميل، ورسمَ عمارٌ لوحاتٍ كثيرةً علَّقها أبوهُ فى حجرتهِ تشجيعًا له. وذاتَ صباحٍ جهز عمَّارٌ حصانهُ وانطلقَ وحدهُ إلى الغابةِ، ليستوحِيَ منَ الطبيعةِ لوحاتٍ جميلة . . وانتقلَ عمَّار منْ مكانٍ إلى مكانٍ منبهـرًا بجمالِ الغابة، حـتَى أضناهُ التعبُ فجلسَ تحتَ شجـرةٍ ليستريحَ قليـلا، ولكن ما لبث أن استسلم للنوم، ثمَّ اسـتيقظَ على صوتٍ أجش يقولُ : انهضْ أيُّها الفـتى . . من أنتَ؟ ومن أينَ أتيت ؟ نظرَ عمَّار فوجـدَ ثلاثةَ رجال، تبدو عليـهم علاماتُ الغلظة، ففكـر قليلا، ولمْ يشأ أنْ يذكُرَ لهُ أنَّـهُ ابْنُ الأمير، حتى يتـبينَ الأمر، فقالَ لهم : اسمى عـمَّار ومنْ بلدة بعيدة. فقالَ رجلٌ منَ الثلاثةِ يبدو أنَّه زعـيمهم : ونحنُ لصوصٌ نقطع الطريق، وسنأخذُ هـذا الحصان وكلَّ مـا معك. فحـمدَ عمَّـار الله فى نفسه؛ لأنَّه لم يذكُـر لهُمْ من يكون، وإلا أخذوه، وطلبوا منْ أبيـهِ فديةً كبيرة. ثمَّ سألهُ أحـدهُمْ عن الأوراقِ والأقلامِ التى معَه، فأجابَ عـمَّار قائلا : إنَّها أوراقٌ أرسمُ فيها الأشخاص والطيورَ والحيوانـات، فسألهُ زعيمهُم : وهلْ يمكنُ أنْ تجلبَ لنا هذهِ اللوحاتُ أموالا؟ فكَّر عمَّـار قليلا، ورأى أنَّ طريقَ الخلاص منْ هؤلاء اللصـوصِ أصبحَ مفتـوحًا الآن، فقالَ لهم : هناكَ أمـيرٌ فى مدينةٍ قريبةٍ يُزينُ قصرهُ بلوحاتٍ كهذه، ويدفعُ أموالا كثيرة فى كلِّ لوحة. فسألهُ كبيرُ اللصوص : وهلْ تعرفُ هذا الأمير ؟ فأجابَ عـمَّار قائلا : لا . . ولكن هناكَ حكيمٌ اسمُهُ عدْنانُ هو الذى يقدر ثمنَ اللوحـة، ويعرِضُها على الأمير. فقالَ أحدُ اللُّصوص : ارسمْ لنا لوحاتٍ كثيـرة. فقالَ كبيرُ اللُّصوص : لا . . ارسمْ واحدةً فقطْ ونُجرب. ورسمَ عمَّار حجرات قـصر أبيه من الداخل، وبعدَ أنْ أتمَّ اللوحة، كتبَ اسمهُ عليْـها، ثمَّ سارَ معَ اللُّصوص حتى وصلوا القصـرَ، فقالَ لهُ زعيـمهم : تجلسُ أنتَ معَ أصدقائـى، وأذهبُ أنا لأقابلَ الحكيمَ عدْنان. وعندَما اسـتأذن زعيمُ اللصوص فى دخولِ القصرِ قابلَ الحكيمَ «عدْنانَ»، وعـرضَ عليهِ اللوحة، ففهِمَ الحكيمُ عدنانُ ما بها وتظاهرَ



بالجهل، وقالَ : منْ عمَّار الذى كتبَ اسمهُ على اللوحة؟ فردّ زعيمُ اللُّصوص قائلا : إنَّهُ رسامٌ مغمورٌ يا سيدى. . وأنا أسعى لهُ بالخير؛ لأبيعَ لهُ هذهِ اللوحةَ لأميرِ البلادِ. فقالَ الحكيم : لوحةٌ جميلةٌ وتساوى ألفَى دينارٍ. فسالَ لعابُ اللِّصِّ وقال : ألفى دينارٍ . . ألفَى دينارٍ . . فقاطعهُ الحكيمُ بقولهِ : لنْ تأخذَ ثمنها حتى يأتى الرسامُ بنفسه؛ لنأخذ رأيهُ أينَ نُعلقها ؟ فأسرعَ اللصُّ وأتى بعمارٍ وبقيةِ اللصوص. وبهذهِ الحيلةِ عادَ عمَّارٌ إلى قصره؛ بحسنِ تدبيرهِ وتفكيره، وقبضَ الأميرُ عليهم، وأودعهُم السجنَ.

مَنْ شَابَهَ أَبَاه

يُحكَى أنَّ الشيخَ «نزران» أحدَ شيوخِ العربِ وكبرائهم، كانَ حريصًا طيلة حياتهِ على أنْ يعلِّمَ أبناءهُ الأربعةَ الحكمةَ ورجاحةَ العقلِ؛ ولَمَّا شعرَ بدُنُوِّ أجلهِ؛ جمعهمْ ليعطيهم الدرسَ الأخيرَ، وقالَ لهم : يا أبْنائى . . الموتُ حقٌّ علينا، وقدْ جمعتكمْ لأقسمَ بينكمْ مالى، فلا تختلفوا منْ بعدى، فإنْ اختلفتمْ فاذهبوا إلى الحكيمِ «الجُرْهُمِىِّ» ليحكمَ بينكم. لقدْ رأيتُ أنْ تكونَ «القبةُ الحمْراءُ» من نصيبِ «مُضَرٍ»، والفرسُ والخيمةُ السوداءِ من نصيبِ «ربيعَة»، أمَّا «أنْمارٌ» فنصيبهُ «الخادمُ العجوزُ»، ونصيبُ «إيادٍ» مجلسِى هذا.

وماتَ الأبُ قبلَ أنْ يتمكنَ الأبناءُ منْ سؤالهِ عنْ معنى هذهِ الأسماءِ التى ذكرها لهم، واختلفوا فى تفسيرها وقرروا الذهابَ إلى الحكيمِ «الجرهُمىِّ» فى جنوبِ الجزيرة، وبينما هم فى الطريقِ رأى «مضرٌ» أثر العشبِ مأكولا فقال : إنَّ الجملَ الذى رعى هذا العشبِ أعورُ. فقالَ «ربيعةُ» : وهو أيضًا أزور. (معوجُّ الصدرِ يميلُ أحد جانبيهِ عن الآخرِ) وقالَ أنمارٌ : وهو أبترُ الذنب. (مقطوعُ الذيل). وقالَ «إياد» :وهو أيضًا جملٌ شرودٌ أحمقُ لا يستقرُّ فى مكانٍ. وعندما انتهى حديثهمُ عن الجملِ رأوا رجلا حزينًا يجلسُ بجانبِ نخلة، فلمَّا اقتربوا منهُ نهضَ وسألهمْ عنْ جَملهِ الذى شردَ منهُ هلْ رآهُ أحدٌ منهم؟ فقالَ «مُضَرٌ» : أهو أعورُ ؟ فقالَ الرجل : نعمْ واللهِ إنهُ لأعور. وقالَ «ربيعةُ» : أهو أزورُ ؟ فأجابَ الرجلُ : واللهِ إنهُ لأزورُ حقًّا. فقالَ «أنمار» : أهو جملٌ أبترُ ؟ فأجابَ الرجلُ : نعمْ نعمْ . . هو كما قلتَ. فقالَ «إيادٌ» : أهو جملٌ شرود؟



فأجابَ الرجلُ علَى الفور : نعمْ واللهِ إنهُ شرود ؛ ولهذا أبحثُ عنه، فأين هو ؟ فأجابوا جميعًا : واللهِ ما رأينا جملكَ هذا يا رجل. فقالَ الرجل : كيف أصدقكُم وأنتم تصفونَ جملى بما فيه ؟ واللهِ لنْ أتركَكُمْ إلا عندَ الحكيمِ «الجُرهُمى» ليحكم بيننا. فرحَ الأخوة الأربعةُ لأنهمْ وجدوا منْ سيدلهمْ على الحكيمِ «الجرهمى» وعندما أتوه، وعرفَ



القصة، سألَ الأخوة الأربعةَ: كيف تصفونَ جملَ هذا الرجلِ وأنتمْ لمْ تروه ؟

قالَ «مضرٌ» :

يا سيدى عرفتُ أنهُ أعور؛ لأنهُ رعَى جانبًا من العشبِ وتركَ الآخر. وقالَ «ربيعةُ»: وأنا رأيتُ إحدى يديهِ لها أثرٌ واضحٌ علَى الأرض، والأُخرى أثرُها خـفيفٌ؛ فعرفتُ أنهُ أزور. وقالَ «أنمارٌ» : وأنا عـرفتُ أنهُ مقطوعُ الذيل حينمَا رأيتُ فضلاته كومةً واحدةً ولو كـانَ لهُ ذيلٌ لفرقَها بهِ. وقالَ «إيادٌ» : أمَّا أنا فقدْ رأيتُ أنهُ يرعى فى المكانِ قليلِ العُشب، ويتركُ المكانَ الذى يكثرُ فيهِ العشب؛ فعرفتُ أنهُ جملٌ أحمقُ شرودٌ.

فهزَّ الحكيمُ «الجُرْهُمىُّ» رأسهُ عجبًا بهم، وقالَ لصاحبِ الجمل: أيُّها الرجلُ .. واللهِ ما رأى هؤلاء جملكَ. اذهبْ وابحثْ عنهُ. ثمَّ التفتَ إلى الأخوةِ الأربعةِ وسألهمْ قائلا لهُمْ : أمَّا أنتمُ فمنْ تكونونَ؟ فـقصُّوا عليهِ قصـة أبيهم، فاستـضافهم، وراقبَ أقوالهُمْ وأفـعالهُم، وتعجبَ منْ ذكائـهم وحكمتِهم، ثمَّ جمـعهُم وقالَ لهم : واللهِ إنى رأيتُ فـيكُمْ حكمةَ أبيكم، وما وصيَّتهُ لكُمْ إلا رموزًا طلبَ منكُم حلها. فأمَّا القبةُ الحـمراء فهى الإبلُ الحمـراءُ والدنانير، وأمَّا الفرسُ والخـيمةُ السوداءُ فـهى كلُّ شيءٍ أسود منَ الخيلِ والخيام، وأمَّا الخادمُ العجوزُ فهى كلُّ عجوزٍ منَ الماشـيةِ والأغنام، وأمَّـا المجلسُ فـهو كلُّ مـا تبقى بعدَ ذلك.



وأنَا أراكُم أيُّهـا الأبناءُ فـروعًـا من أبيكُم .. والفروعُ دائمًـا تشبهُ الأصولَ، ومنْ شابـهَ أباهُ فما ظلم، فارجعوا إلى أرضكُم يرعاكُم اللّه.

عُمَرُ والأَعْرابى

يُحكَى أنَّ أعرابيا كانَ يعاتبُ زوجتهُ علَى خَطأ فعلتـه، فارتفعَ صوتُ الزوجـةِ فى الردِّ عليه، فـغضبَ منهَا، وأنكرَ عليـها ذلك، وحاولَ أنْ يعلمهـا الصوابَ؛ إلا أنهـا لمْ تستجبْ له؛ فـأقسمَ أنْ يشْكوها إلى أمـيرِ المؤمنينَ «عُمَرَ بْن الخطابِ»، وتركَها وذهبَ إلَى بيتِ «عُمَرَ»، وما إنْ وصلَ إلى بابِ البيتِ حتى سمعَ زوجةَ أمير المؤمنينَ تقولُ لهُ بصوتٍ مرتفع: اتقِّ الله يا «عمر» فـيما ولاك. فلمْ يرد عليَها «عُـمَرُ»رضى الله عنهُ وظلَّ صامتًا، فقالَ الأعرابىُّ فى نفسه: إذا كانَ هذا هو حالُ أمير المؤمنين معَ زوجتهِ فماذا سيصنع معَ زوجتى؟ وهمَّ الأعرابى بالانصراف، فخرجَ «عمرُ» منْ بيته، ووقعَ بصرهُ على الرجلِ واقفًا أمامَ بيته، فـقالَ له: ماذا تريدُ يا أخى وما حـاجتُك؟ فردَّ الأعرابىُّ قائلا : لا حاجةَ لى يا أميرَ المومنين. فأقسمَ عليهِ «عُمَرُ» أنْ يخبرهُ بحاجته، فقالَ الأعرابى : يا أميرَ المؤمنينَ.. جئتُ إليكَ أشْكو منْ صوتِ زوجتى المرتفع وتجرؤها علىَّ، فسمعتُ عندكَ مثلما عنْدى وأشد، فهممتُ بالعودةِ وأنا أقولُ فى نفسى : إذا كانَ هذا هو حالُ أميرِ المؤمنينَ معَ زوجته، فإنَّ حالى معَ زوجتى أحسنُ شأنًا.





فتبسمَ «عُمَرُ» ـ رضىَ اللّه عنه ـ وقالَ له : يا أخى . . إنى أحتملُ زوجتى لحقوقٍ لها علىَّ؛ فإنها طباخةٌ لطعامى. . خبازةٌ لخبزى. . مرضعةٌ لأولادى. . غاسلةٌ لثيابى. وبقدر صبرى عليها يكونُ ثوابى وجزائى عندَ الله تعالى. سُرَّ الأعرابىُّ مما سمعَ منْ أميرِ المؤمنينَ وقالَ له: صدقتَ يا أميرَ المؤمنين. وعادَ الأعرابىُ إلى بيتهِ هادئًا، وقدْ ذهبَ ما بهِ منْ غضبٍ علىَ زوجته.

الشمعة والسراج

يُحكَى أنَّ الخليفةَ العادلَ «عُمَرَ بْنَ عَبدِ العزيزِ» تجهزَ للنومِ ذاتَ ليلة، فسمعَ طرقًا على بابِ بيته، ثم دخلَ عليهِ خادمهُ وقالَ له : إنَّ بالبابِ رجلا يقولُ إنهُ رسولُ أحدِ ولاةِ المسلمينَ فى بلدةِ كذا. فقالَ أميرُ المؤمنينَ «عُمَرُ بْنُ عبدِ العزيزِ»: ائذن له بالدخول. فدخل الرسول على أمير المؤمنين «عمر بن عبد العزيز» وسلَّمَ عليه، فقامَ «عُمَرُ» وأشعلَ شمعةً كبيرة أضاءتْ لهُما المكان، وجلسَ الاثنانِ يتحدثانِ فى أمورِ المسلمين، وأخذَ «عُمَرُ» يسألُ الرجلَ عنْ أحوالِ المسلمينَ فى البلدِ التى جاءَ منها، وهلْ لهمْ مطالب، وكيفَ يعيشون، وكيفَ يعاملهم الوالى، وسأله أيضًا عنْ الأسعارِ فيها وعنْ حالِ أبناءِ المهاجرينَ والأنصار، وهلْ يقومُ الوالى بواجبه ويعطى كلَّ ذى حقٍّ حقه، وهلْ ظلمَ أحدًا أو تظلَّمَ منهُ أحد. وظلَّ الخليفةُ يسألُ الرسولَ عنْ كلِّ ما يخصُّ المسلمين، وطمأنهُ الرجلُ، وأنبأهُ بجميعِ ما عرفهُ عنْ هذهِ البلد. فلمَّا فرغَ «عُمَرُ» ـ رضى اللّه عنهُ ـ منْ مسألتهِ، قالَ لهُ الرجل : كيفَ حالكَ أنتَ يا أميرَ المؤمنين ؟ وكيفَ حالُ أبنائكَ وجميعِ أهلِ بيتك؟ قامَ «عُمَرُ» منْ مكانهِ ولمْ يردَّ على الرجل وتقدمَ نحو الشمعةِ وأطفأها،





ثمَّ نادى على خادمهِ وقالَ له : يا غلامُ .. أحضر السراجَ. فأتى الغلامُ بسراجٍ صغيرٍ لا يكادُ يضيءُ شيئًا، ووضعهُ في مكانه، ثمَّ قالَ «عُمَرُ» للرجل: معذرةً يا أخي إنْ كنتُ قطعتُ عليكَ حديثك، ولكن سلني الآنَ عمَّا شئت فسألهُ الرجلُ عنْ حاله، وحال أهله، فأخبرهُ «عُمَرُ» وطمأنهُ وشكرهُ على سؤالهِ عنْ حاله. ظهرت الحيرةُ على وجهِ الرجلِ ممَّا فعلهُ «عُمَرُ» وسألهُ قائلا : يا أميرَ المؤمنين .. لقدْ قمتَ بفعلٍ جعلني في حيرة، وأدهشني، وأريدُ أنْ تفسرهُ لي، فقدْ رأيتكَ فعلتَ أمرًا ما رأيتُ أحدًا فعلَ مثله ! ردَّ «عُمَرُ» قائلا : وما هو يا أخي يرحمكَ اللّه ؟ ردَّ الرجلُ قائلا: لقدْ أطفأتَ الشمعة حينَ سألتكَ عنْ حالكَ وحالِ أهلكَ فلمَ فعلتَ ذلك ؟! فقالَ «عُمَرُ»: إنَّ الشمعةَ التي أطفأتُها اشتريتُها منْ مالِ المسلمين؛ حتى أقضي مصالحهمْ وأُدبِّرَ شئونهمْ على ضوئها، وكنتُ أسألُك عنْ أحوالِ المسلمينَ وعمَّا يتعلقُ بشئونهمْ، ويُصلحُ أحوالهمْ على ضوءِ شمعتهم؛ فلمَّا سألتني عنْ شأني وشأنِ عيالي، أطفأتُ ما يخصُّ المسلمين، وأتيتُ بما يخصني وأوقدتُ سراجي.

شيم الكرام

يُحكَى أنَّ أحدَ الملوكِ سمعَ عنْ جـودِ «حاتمٍ الطائىِّ»، الذى ذاعتْ شهرته، وأصبحَ مـثلا فى الجودِ والكرم؛ فـجمعَ الملكُ أعـوانه، وسألهُمْ عنْ سـبب شهـرةِ كرمِ حـاتمٍ رغم أنَّهُ يسكن الخيـام، ولا يملكُ الخزائن، وليسَ لهُ أعوان؛ فأخـبروهُ بأنَّ حاتمًا الطائى يجودُ بما ملكت يداه، ولا يبقى شيئًـا عندهُ إلا جادَ به. فقالَ الملكُ: أخبرونى عنْ أعزِّ شىءٍ عندَ حاتم. فقالوا لهُ : فرسٌ سوداءُ منْ أجودِ خيلِ العرب، هى عنده أعز من نفسهِ وولده. فقال الملك لأحدِ معـاونيه : اذهبْ إلى حاتم وبلِّغْهُ برغبتى فى هذه الفرسِ السـوداء؛ وبذلكَ نختبرُ جودَهُ المزعوم. فانطلقَ معاونُ الملكِ باحثًا عنْ حاتم، ودخلَ قـبيلة طىء، فالتقى بحاتمٍ وهو لا يعرفه، ورأى حاتمٌ على وجههِ الجـوعَ والإرهاق، ولمْ يكن فى بيتهِ شىءٌ يذبحـهُ أو يُقدِّمُهُ له؛ فإبلُهُ وأغنامـهُ فى مرعاها البعيـد. فلم يجدْ حاتمٌ أمامهُ سوى فرسِـه السوداءِ فقامَ فذبحها، وأعدَّ منها طعامًا وقدَّمـهُ للرجل؛ فأكلَ حتى شبع، ثمَّ قالَ : إننى جئتُ باحـثًا عنْ رجلٍ اسمـهُ حاتمٌ الطائىُّ . . أتعرف عنهُ شـيئًا؟ فردَّ حـاتمُ قائلا : وماذا تريدُ منهُ يا أخى؟ فـقالَ الرجـل: أرسلنى الملكُ لأطلبَ منهُ فرسهُ السـوداء التى يُحبها كثيرًا. فـقالَ لهُ حاتم: يا أخى أنا حاتمٌ الطائى . . وواللهِ لو كنتَ أخبرتنى بذلكَ منذُ قليلٍ لقدَّمتُها لكَ راضيًا ولكننى ذبحتُها لكى تأكلَ منها.

فدَهشَ الرجلُ منْ صنيعِ حاتم، وعادَ إلى الملكِ وقصَّ عليهِ ما حدث فتعجبَ الملكُ ممَّا قال وازدادَ حنقًا وحقدًا على حاتم، الذى فاقهُ شهرة، وقدمهُ الناسُ عليهِ فى الكرم، فأمـرَ أحدَ فُرسانهِ الأقوياء أنْ يذهبَ ليأتيهِ بحاتمَ حيا أوْ ميتًـا، حتى يذكرهُ النَّاسُ وحدهُ بعـدَ ذلك. ومضى الفارسُ فى طريقـه؛ ليقومَ بمهمـتهِ كما أمرهُ الملك؛ فـالتقى بحاتمٍ وهو لا يعرفه؛ فأكرمهُ حاتمٌ وآواهُ عنده، ثمَّ سألهُ عنْ مقصدهِ فقالَ الفارسُ : لقدْ أمرنى الملكُ أنْ أبحثَ عنْ رجلٍ اسمهُ حاتم، قـيلَ عنهُ إنهُ أجودُ العربِ. فقالَ لهُ «حاتمٌ» : ولمَ تبحثُ عـنهُ يا أخى؟ ردَّ الفارسُ قائلا : لقد كبُرَ على الملكِ أنْ يقـدمَ النَّاسُ حاتمًا هذا عليهِ فى الجودِ والكرم؛ لذا أرادنى أنْ أعـودَ به حيا أو ميتًا. فـسألهُ حاتمٌ قائلا: وإذا عدتَ بدونهِ إلى سيدكَ مـاذا سيحدث؟ ردَّ الفارسُ بقلق : إنَّها مصيبـةٌ كبرى سوفَ تقعُ فوقَ رأسى إنْ لم أعُدْ بهِ إلى سـيدى الملك. فضـحكَ «حاتمٌ» وقالَ : أنا حاتمٌ الطائىُّ . . هيَّـا بنا إلى سيدك. فـدهشَ الفارسُ وأمسكَ فاه، ثمَّ قالَ : ألِهذا الحدِّ بلغ كرمكَ؟! تُضحى بنفسكَ كى لا تضرنى؟!



وبينما يتحدثُ الفارسُ معَ حاتمٍ إذْ نادتِ امرأةٌ وقالتْ : ياحاتمُ .. يا حاتمُ .. أينَ أنتَ يا حاتمُ الطائىُّ؟ فالتفت إليها، وقالَ : لبيك يا أختاهُ .. وقالَ للفارسِ : ائذنْ لى حتى ألبى نداءها، وسوفَ أعودُ سريعًا لنذهب إلى سيدك. فلمَّا دنا منها حاتمٌ قالتْ لهُ : لقدْ تركتُ أطفالا صغارًا يبكونَ منْ شدةِ الجوع، وجئتُ إليكَ لتساعدنى عليهِم؛ فأسرعَ حاتمٌ وحملَ لَها ما يكفيها منْ خيمته، وبعثَ معها منْ يذهبُ بهِ إلى بيتها. فلمَّا رأى الفارسُ صنيعَ حاتم؛ خَجِلَ منْ نفسه، وقام، وعانَقه، وطلبَ منهُ الصفحَ عنه، ثمَّ قالَ : حقا .. إنَّ الجودَ منْ شيمِ الكرام. وتركهُ الفارسُ ثمَّ ذهبَ إلى الملكِ بمفرده.

مَنْ حَفَرَ حُفْرَةً لأَخِيهِ

يُحكى أنَّ أحدَ الأمراءِ مرضَ مرضًا شديدًا، عجزَ أطباؤهُ عنْ علاجه، فأعلنَ عنْ مكافأة كبيرة لمنْ يكتبُ اللهُ على يديهِ شفاءه. وتسابق الأطباءُ إلى ذلك. لكنَّهم فشلوا، فدبَّ اليأس إلى نفسِ الأميرِ.

وذاتَ يومٍ جاءَ رجلٌ بدويٌّ إلى المدينةِ وعلمَ بأمرِ مرضِ الأميرِ، فذهبَ إليه وأعطاهُ دواءً استعمله ثلاثةَ أيام، حتى شُفى تمامًا؛ فأقامَ الأمير حفلا كبيرًا بهذه المُناسبة. دعا إليه أشرافَ القومِ وكرَّمَ البدوىَّ تكريمًا كبيرًا، وزادَ فى تكريمه لهُ بأنْ قربه إليه وجعلهُ منْ خاصته. وكان وزيرُ الأميرِ رجلا شريرًا فكان كلما رأى الأميرَ يتكلمُ مع البدوى بتوددٍ وحبٍّ غلى الدمُ فى عروقهِ منْ شدةِ الغيظ، وقال فى نفسه: ما بالُ الأميرِ يكلم هذا البدوى الحقير كما لو كانَ وزيرًا، وأخشى أنْ يأتى اليومَ الذى يأخذُ فيهِ مكانى .. لا .. لنْ يحدثَ هذا إلا أنْ أدبر مكيدةً؛ لأتخلصَ منه، وأبعدهُ عنْ طريقى، وذاتَ يومٍ علِمَ الوزيرُ أنَّ البدوى سيقابلُ الأميرَ بعدَ العشاء؛ فأسرعَ إلى القصرِ مصطنعًا الحزن، فسألهُ الأميرُ عنْ سببِ حزنه، فأجابَ قائلا: ماذا أقولُ يا مولاى ؟ وكيف أقولُ لكَ هذا الكلام؟ فقالَ الأميرُ بانزعاج : ما الخبرُ أيُّها الوزيرُ ؟ فقالَ الوزير: لقدْ غمرنا كرمكَ وقابلنا هذا الكرم بالإخلاص. لكنَّ البدوىَّ.. فقاطعهُ الأمير : البدوى .. إنَّهُ من خيرِ الناس، ومن المقربينَ إلىَّ. فقالَ الوزير : هو كما قلتَ يا مولاى، ولكنْ أمامكَ فقط. أمَّا منْ وراءِ ظهرك فشىءٌ آخر. فقالَ الأمير : كيف ذلك؟! ردَّ الوزيرُ قائلا : إنَّهُ يا مولاى يتحدثُ بفاحشِ الكلامِ عنكَ وعنْ أهلك، وإذا لمْ تصدقنى لكَ أنْ تتأكدَ الليلةَ.. فهو يقولُ أيضًا إنك أبخر (رائحة فمك كريهة)، وعندما يكلمك يضع يده على فمه. ظهر الغضبُ على وجهِ الأمير، ثمَّ قالَ لوزيره: انصرفْ أنتَ الآنَ أيها الوزير. ثمَّ توجهَ الوزيرُ إلى البدوى ، وأخذَ يتوددُ إليه، ودعاهُ إلى تناول العشاء معه، وكان قدْ أمرَ بإعدادِ مائدةٍ عامرةٍ بصنوفِ الطعام، وأوصى بإكثارِ الثُّوم فيه. وأثناءَ تناولِ الطعامِ قالَ الوزير: ما رأيكَ فى طعامى يا صديقى البدوىَّ ؟ فردَّ البدوى قائلا : طعامٌ شهىٌّ ولذيذٌ. فقالَ الوزير: إنَّه لذيذٌ لأننى أمرتُ بإكثار الثومِ فيه.. صحيحٌ أنَّ رائحتهُ كريهة لكنهُ يجعلُ الطعامَ شهيا. فتوقفَ البدوى عن الطعام، فسألهُ الوزيرُ عنْ سببِ توقفه، فردَّ البدوى قائلا : إننى سأقابلُ الأميرَ الليلة. فقالَ الوزيرُ متظاهرًا بالخجلِ والأسف: اعذرنى يا صديقى لمْ أكُنْ أعرفُ أنك ستقابلُ الأمير، فأنا أعرفُ أنَّهُ يكرهُ رائحة الثوم، ولكنْ لا تقلَق.. عندى حل .. ضعْ يدكَ على فمكَ كلَّما تكلمت مع الأمير. وأخذ الوزيرُ يقنعهُ بذلك. وعندما قابلَ البدوى الأميرَ كانَ يضعُ يدهُ على فمه كلما تكلم مع الأمير. فتأكد الأميرُ منْ صدقِ الوزير، وقرَّرَ أن يقتل البدوى جزاءً لما قالهُ فيهِ وفى أهله. وفى الصباحِ أعدَّ الأميرُ رسالةً مغلقةً لأحد أصدقائه الأمراء، واستدعى البدوى لحملها، وكتبَ الأميرُ فى الرسالة : إذا



وصلك كـتابى هذا فـاضربْ رقـبةَ حـامله. وفى الطريقِ قـابلَ الوزيرُ البدوى وسـألهُ قائلا : إلى أينَ يا صـديقى؟ . . فأجابَ البـدوى قائلا : معى رسـالة لصديـقِ الأمير. فـاغتـاظَ الوزير، وظنَّ أنَّ حيلتـهُ لمْ تفلح؛ وأنَّ بالرسالةِ أمـرًا مهما، قـدْ يعودُ نفعـهُ على البدوى، فقالَ للبـدوى : ما رأيكَ أنْ تستـريحَ وأذهبَ أنا بالرسالة، فإنَّ لى مـصلحةً عند صديقِ أميـرنا هذا، وسوفَ آتيكَ بالجوابِ تبلغـهُ للأمير. وأقنعهُ بـذلك، وأخذَ منهُ الرسالةَ وسلمهـا إلى صديقِ الأميرِ الذى قـامَ بضربِ عنقه. ولمَّا شعرَ الأمـيرُ بغيابِ الوزير سألَ عـنهُ فقيلَ لهُ إنه فى سفر، فسألَ عنْ البدوى فقيلَ لهُ إنه فى المدينةِ فاستدعاه وسأله : ألمْ تذهبْ برسالتى إلى صديقى ؟ فأخبرهُ البدوى أنَّ الـوزير أخذها منه. فقالَ الأميرُ بانزعاج: إذًا لقد مـاتَ الوزيرُ الآنَ. . لابُدَّ أنْ أحاسبكَ بنفسى على ماقلتهُ فى أهلى وماتَ فـى سبيلِ ذلكَ الوزير وهو برىءٌ. فقالَ البدوى بدهشة : أنا لمْ أقل شـيئًا يا مولاى. فردَّ عليهِ الأميرُ قائلا : لا بلْ قلتَ وعندى دليلٌ على ذلك، فقدْ قلتَ أيضًا إننى أبخر، وقدْ لاحظناك وأنتَ تضعُ يدكَ على فمكَ عندما كنتَ تكلمُنى. فقصَّ البدوى قصةَ عشاءِ الوزير على الأمير، فقالَ الأمير وقد اقتنعَ بكلامه: قاتلَ الله الحسدَ. فقدْ حفرَ الوزيرُ حفرةً للبدوى فوقع فيها.

الرّاكِبُ الماشى

يُحكى أنَّ «إبراهيمَ بنَ أدهَمَ» كانَ أبوهُ أميرًا، يملكُ الضياعَ الواسعة، والقصورَ الشامخة، والمال الكثير، فعاشَ إبراهيمُ عيشة مترفة، وظلَّ على ذلكَ فترةً منَ الزمن، وذاتَ ليلةٍ خرجَ إبراهيمُ فسمعُ أحدَ الناسِ يقرأ القرآنَ بصوتٍ جميل، فوقفَ إبراهيم وأخذَ يسمعُ له، حتى قرأ قولَ اللهِ تعالى : ﴿ألَمْ يأنِ للذينَ آمنوا أنْ تخشعَ قُلوبهُم لذِكرِ اللهِ وما نزلَ منَ الحقِّ﴾. فقالَ إبراهيم : نعمْ .. واللهِ لقدْ آنَ الأوانُ. وتركَ عيشةَ الترف، وانصرفَ إلى عبادة اللهِ والدعوة إليه، وأنفقَ كلَّ مالهِ فى سبيلِ الله، ثمَّ عملَ أجيرًا عندَ الناسِ؛ ليكسبَ قوتَهُ منْ عملِ يده.

وذاتَ يومٍ جاءه رجلٌ وهو يعملُ بفأسِهِ عندَ أحدِ الناس، فسلَّمَ عليهِ، وقالَ له : يا إبراهيمُ .. إننى كنتُ عبدًا لأبيك، وهربتُ منه، ثمَّ راجعتُ نفسى، وأنتْ وارث أبيكَ فخذنى، وخذْ هذا المالَ الوفيرَ الذى جمعتهُ منْ عملى فى أثناءِ الهرب؛ فالعبدُ وما ملكتْ يداهُ لسيده. فقالَ لهُ «إبراهيمُ» : يا أيُّها الرجلُ .. إنْ كنتَ غيرَ صادقٍ فيما ذكرتَ؛ فلستَ لى، وكذلك مالكَ ليسَ منْ حقى. وإنْ كنتَ صادقًا؛ فأذهبْ فأنتَ حرٌّ لوجهِ اللهِ والمالُ لكَ، ثمَّ قال: الحمدُ للهِ .. طلبنا الفقرَ فاستقبلنا الغِنى، وطلبَ الناسُ الغِنى فاستقبلهُم الفقر، ونحنُ واللهِ الملوك، والناسُ هم العبيد، ثمَّ أنشدَ :

والنفسُ تأبى أنْ تكونَ فقيرةً   والفقرُ خيرٌ منْ غِنى يطغيها

فغنى النفوسِ هو العفافُ فإنْ أبتْ   فجميعُ ما فى الأرضِ لا يكفيها



وأرادَ إبراهيمُ أنْ يخرج للحجِ فلمْ يجد ما يشترى بهِ مطيةً يسافرُ عليها، فخرجَ للحج ماشيًا، وبعدَ كلِّ مسافةٍ كانَ يُصلى ركعتينِ شكرًا لله. فقابلهُ فى الطريق حاجٌّ على جمل، فقالَ له: إلى أين يا إبراهيمُ ؟ فأجابهُ «إبراهيمُ بنُ أدهمُ» قائلا : إلى بيتِ

اللهِ الحرامِ. دهشَ الرجلُ وقـالَ له : كأنكَ مجنونٌ يا إبراهيمُ . . تسيـرُ من البصرةِ إلى مكةَ ماشـيًا عـلى قدمـيك؟! فردَّ إبراهيمُ قـائلا: إننى أركبُ مطايا كثـيرةً ولكنك لا تراها. فسـألهُ الرجل : وما هذه المطايا يا إبراهيمُ؟ فأجابَ إبـراهيمُ قائلا : إذا أصابتنى مصـيبـةٌ ركبتُ مطيـةَ الصبـر، وإذا أنعمَ اللهُ عليَّ بنعمـةٍ ركبتُ مطيةَ الشكر، وإذا نزلَ بى قـضاءُ اللهِ وقدره ركـبتُ مطيةَ الرضا، فـإذا نازعتنى نفسى شـهوةً قلتُ لها : يا نفـسى ما بقى منَ العُمرِ مقدارُ ما مضى.

فـقالَ الرجلُ بعـدَ أنْ سـمعَ هذا الكلامَ منْ «إبراهيم بن أدهمَ»: اذهب يا إبراهيم، فوالله لأنتَ الراكبُ وأنا الماشى.



عطاءٌ والأعرابيّ الحكيم

يُحكى أنَّ أحدَ الأمـراء عاشَ زمنًا طويلا دونَ أنْ يكونَ لهُ أبناء، ثمَّ رزقـهُ اللهُ تعالى بمولودٍ جـميلٍ سمَّـاهُ «عطاء»، أحبهُ حبـا كبيرًا؛ وأقـامَ لمقدمه الاحتـفالات، ونالَ عطاء حظًا وافرًا منَ التـدليل، وعندما وصلَ عطاء سنَّ الشباب، لمْ يَكُنْ يفعلُ شيـئًا إلا اللَّهو واللَّعب. وذاتَ يومٍ أتاه أبوهُ بحكيمٍ يعلمهُ ويربيهِ على الأخلاقِ الفاضلةِ، فرفض فى البداية، لكنه اضطر إلى الموافقة عندما هدده أبوه بحرمانه من الإمارة، وذات يوم دخل أعرابى وعرض أن يأخذ عطاءً ثلاثة أشهر يعلمه فيها، ولَمَّا رأى الأميرُ أنَّ الرجلَ تبدو عليهِ علاماتُ الوقارِ والحكمةِ وافقَ على الفور. واصطحبَ الأعرابيُّ عطاء، وفى الطريق أحسَّ عطاء بجوع شديد، فطلب من الأعرابى أن يحضر له طعامًا، فـقال له الأعرابى: أنا مثلكَ تمامًا، ليسَ معى طعـام؛ فلنفكِّر معًا كـيفَ نحصلُ على طعـامنا، وكيـف نبحثُ عنْ مكانٍ نبـيت فيـه. فصاحَ عـطاء قائلا : أنا عطاء ابنُ الأمير حـاكم البلادِ أبحث عنْ طعام، وأنام فى الصحراء! إذهبْ أنتَ وافعلْ كل هذا، فأنتَ خادمى. ردَّ الأعرابى قـائلا: نحنُ وحيدان، وليسَ فينا



خادمٌ ومخدوم، خُذ أدوات الصيدِ وسنها على هذا الحجر، حتى تصبح حادة، وسأفعلُ أنا كذلكَ لنصيدَ طعامنا، ولنْ نأكلَ إلا مما نصيد، فإذا لمْ تفعلْ فلنْ تذوقَ طعامى أو تنام فى مكانى، وإذا استطعتَ أنْ تعودَ إلى أبيكَ فافعل. أيقنَ عطاء أنهُ لا مفرَّ منَ الاعتمادِ على نفسه، وإلا هلكَ ومات، فبحثَ مع الأعرابىُّ عنْ طعامه، وجهزَّ مكانًا يبيتُ فيه، وفى الصباحِ قالَ عطاء: ألبسنى ثوبى أيُّها الأعرابى. فردَّ عليهِ الأعرابىُّ بغلظةٍ : وأينَ يداكَ؟ انهضْ ولا تضيعْ وقتنا، فالطريقُ طويلٌ وأمامنا عملٌ كثير. وتمرُّ الأيامُ ويزدادُ معها عطاء خشونة واعتمادًا على النفس، وتنتهى الأشهرُ الثلاثة، ويعودُ عطاءٍ معَ الأعرابى إلى أبيه، وقدْ تغيرت حياتهُ منْ لهو وعبث، واعتمادٍ على الغير، إلى جدٍّ وعملٍ واحترامٍ للآخرين، فسُرَّ الأميرُ بذلكَ كثيرًا، لأنَّ ابنهُ صارَ أهلا للإمارةِ من بعده.



الفهرست

رقم الإيداع : ١٠٧٠٢ / ٩٤

الترقيم الدولى : I.S.B.N 977-261-345-x

مِنْ قَصَصِ التُّراث

سِلْسِلَةٌ مِنَ الـقَصَصِ التُّرَاثِيِّ الـتَّرْبَوِيِّ الْهَادِفِ، صِيـغَتْ بِأُسْلُوبٍ جَذَّابٍ مُمْتِعٍ، وَبِلُغَةٍ بَسِيطَةٍ سَهْلَةٍ؛ لِتُنَاسِبَ كُلَّ الأعْمَارِ، وَهِيَ تُعَبِّرُ عَنْ مَجْمُـوعَةٍ مِنَ الْمَوَاقِفِ الطَّرِيـفَةِ، وَالأَحْدَاثِ الشَّائِقَةِ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى مَعَانٍ إِنْسَـانِيَّةٍ سَامِيَةٍ، وَقِيَمٍ أَخْـلاقِيَّةٍ رَفِيـعَةٍ، تَجْـمَعُ بَيْنَ الْمُـتْعَةِ وَالـطَّرَافَةِ، وَالعِلْمِ وَالـتَّسْلِيَةِ، وَذَلِكَ فِي قَالِبٍ أَدَبِيٍّ مُمْتِعٍ، وَصِيَاغَةٍ مُعَاصِرَةٍ جَذَّابَةٍ، وَإِخْرَاجٍ فَنِّيٍّ مُتَمَيِّزٍ، وَرُسُومٍ جَمِيلَةٍ مُعَبِّرَةٍ.

سفير ٥ شارع جزيرة العرب – المهندسين – القاهرة – ص.ب: ٤٢٥ الدقي ت: ٣٣٧٩٧٥٢– ٣٣٥٣٧١١– ٣٣٥٣٧١٢– ٣٤٩٤١٣٩ فاكس: ٣٤٨٠٢٩٩